شخصية العدد

من أعلام الدعوة فى المدينة

مصعب بن عمير

دكتور/ حسن عبد الحميد حسن
أستاذ الدعوة بالكلية

مقـــدمة :

منذ بزوغ فجر الدعوة الإسلامية فى مكة . وإلى أن سطع شمسها واستقر أمرها فى المدينة . وأصحاب رسول الله ﷺ يقومون بتبليغ الدعـوة والدفاع عنها وتعميق مفاهيمها بين الناس . دون يأس أو كلل وقد تجشموا المصاعب واستعذبوا الآلام فى سبيل نصرة الدعوة ، هانت عليهم الأنفس وتضاءلت أمامهم قيمة الأموال وملذات الحياة بل لقد سمت نفوسهم إلى أفق عليا تحررت فى ظلها من قيـــود العاطفة الغريزية ووشائج الدم والقرابة فكان الأب يقاتل ولده والابن يقاتل أباه أو اخاه دفاعا عن الدعوة واعلاء لكلمتها .

وقد اخترنا للقارىء الكريم علماً من أعلام الدعوة وأول داع إلى الله تعالى فى المدينة « مصعب بن عمير » أو « مصعب الخير » ولا يعنينا العرض المسهب لترجمة مصعب ابن عمير بقدر ما يهمنا ابراز المكونات النفسية والعقدية والسلوكية فى تلك الشخصية العظيمة وبيان مدى آثارها فى الدعوة إلى الله .

فالداعية إلى الله تعالى لا يبدأ من فراغ ولكن تحيط به عوامل

ومؤثرات تؤهله للقيام برسالته أهمها معالم شخصيته وجوانب تربيته إلى جانب فهمه الواعى لطرق الدعوة ومدى إستعداده لحمل مسئولياتها .

مصعب بن عمير(١) :

هو مصعب بن عمير بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار بن كلاب بن مرة القرشى العبدرى يكنى أبا عبد الله .

مولده ونشأته :

ولد هذا الصحابى الجليل فى مكة ونشأ بين ربوعها فى احضان أسرة عرفت بالغنى والثراء . وقد ظهر أثر ذلك واضحاً على حياته المترفه الناعمة . فأمه كانت تكسوه أحسن ما يكون من اثياب وأرقه . وكان أعطر أهل مكة يلبس الحضرمى من النعال — وهو من أغلى الأنواع وأجودها .

يقول الرسول ﷺ مصوراً حياة مصعب « مارأيت بمكة أحدا أحسن لمة ولا أرق حلة ولا أنعم نعمة من مصعب ابن عمير »(٢) .

إســـلامه :

وسط مباهج الحياة ومفاخرها كان يعيش هذا الشاب يزهو بجماله ويفاخر بماله . الحياة أمامه هانئة رغدة يعيش بين أبوين كريمين يفيضان عليه بالمال ويحوطانه بالرعاية والحنان .

وفى الجانب الآخر . كان مصعب يرى خارج منزله قلة من أصحاب محمد

---

(١) انظر أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير جـ٥ ص١٨١ .
(٢) الطبقات الكبرى للواقدى جـ٣ ص ٨٢ .

ﷺ آمنوا بدعوته الجديدة وقد تصدت لهم قريش بأموالها ورجالها وأعلنت الحرب على صاحب الدعوة واتباعه .

ويشاهد هذا الشاب المدلل صوراً متعددة لأصحاب محمد ﷺ وهم يعذبون فى بطحاء مكة يلهب السياط ظهورهم وتحرق أجسادهم حرارة الشمس القاسية . هذا إلى جانب ألوان أخرى من التعذيب والتنكيل والبطش .

كان هذا كله كفيلا بأن يباعد بين مصعب وبين أصحاب محمد ﷺ ولو لفترة من الزمن كما فعل بعض أقرانه الذين أسلموا يوم فتح مكة فلم يكن هناك مجال أمام مصعب لأن يقارن بين حياته المترفة وبين ماعليه أصحاب محمد ﷺ . فالتحول من حياة الترف والبذخ إلى حياة القسوة والألم والمعاناة أمر ترفضه النفس لأول وهلة . حتى وإن كان مجرد خيال يتراءى أمامها .

لكن هداية الله عز وجل تعلو فوق مؤثرات النفس وتسموا على رغباتها واهوائها . فلقد شرح الله صدر مصعب للإسلام. يقول الواقدى عن مصعب « بلغه أن رسول الله ﷺ يدعوا إلى الإسلام فى دار أرقم بن الأرقم فدخل عليه فأسلم وصدق به وخرج فكتم إسلامه خوفا من أمه وقومه فكان يختلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سرا فبصر به عثمان بن طلحة يصلى فأخبر أمه وقومه فاخذوه فحبسوه فلم يزل محبوسا حتى خرج إلى أرض الحبشة فى الهجرة الأولى ثم رجع مع المسلمين حين رجعوا فرجع متغير الحال »(١) .

---

(١) الطبقات الكبرى للواقدى جـ ٣ ص ٨٢ .

بعد إسلام مصعب تحول إلى رجل فقير فقد انقطع عنه مال أمه وحنوها عليه .

لكنه لم يبالى بذلك . فقد كان يرى فى شظف العيش مع نور الإيمان حلاوة . وفى تجشم المصاعب وتحمل الآلام لذة وسعادة . إن حياة الماضى قد تضاءلت أمام حياة الحاضر فالأولى رغم كثرة مالها وهنائها . كانت تنقصها حلاوة الإيمان ونور هدايته لقد زهد مصعب الدنيا . وها هو بعد أن كان يلبس أحسن الثياب وأجوده . يرتدى على جسده بردة من وبر الغنم مرقعة ويذهب بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . « عن على ابن أبى طالب قال جئت إلى رسول الله ﷺ فجلست إليه وهو فى عصابة من أصحابه فطلع علينا مصعب بن عمير فى بردة مرقوعة بفروة غنم وكان أنعم غلام بمكة فلما رآه النبى ﷺ ذكر ما كان فيه من النعيم فذرفت عيناه وبكى قال عمر بن الخطاب فسمعت الرسول ﷺ يقول : انظروا إلى هذا الذى نور الله قلبه لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة اشتراها بمائتى درهم فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون »[1] .

وما أحسب بكاء الرسول صلى الله عليه وسلم إلا ترجمة لاحاسيسه التى اختلط فيها الفرح بالحزن . الفرح لإسلام مصعب . والحزن والأسى على حال المسلمين وضعفهم آنذاك . وكأن الرسول صلى الله عليه وسلم يتعجل الفرج لأصحابه والنصر لهم والتمكين لدعوته . . ولقد شاء الله له ما أراد . فكان المسلمون — فى المدينة — فى بحبوحة من العيش وقد تحولوا من ضعف إلى قوة . ومن فقر إلى غنى .

---

(١) أسد الغابة لابن الاثير جـ ٥ ص ١٨٢

مصعب أول داعية إلى الإسلام فى المدينة :

لما انصرف أهل العقبة الأولى الاثنى عشر وفشا الإسلام فى دور الأنصار أرسلت الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا وكتبت إليه كتابا : ابعث لنا رجلا يفقهنا فى الدين ويقرأنا القرآن . فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير فقدم فنزل على سعد بن زرارة وكان يأتى الأنصار فى دورهم وقبائلهم فيدعوهم إلى الإسلام ويقرأ عليهم القرآن فيسلم الرجل والرجلان . حتى ظهر الإسلام وفشا فى دور الأنصار كلها . .

وكان مصعب يقرئهم القرآن ويعلمهم فكتب إلى رسول الله يستأذنه أن يجمع بهم — أى يصلى بهم الجمعة — فأذن له وكتب إليه : أنظر من اليوم الذى يجهر فيه اليهود لسبتهم فإذا زالت الشمس فازدلف إلى الله فيه بركعتين واخطب فيهم . فجمع بينهم مصعب بن عمير فى دار سعد بن خيثمة وهم أثنا عشر رجلا وما ذبح لهم يومئذ إلا شاة فهو أول من جمع فى الإسلام جمعة .

منهجه فى الدعوة :

كان منهجه فى الدعوة يعتمد على حسن العرض والسياسة الحكيمة والاقناع . وأستقطاب زعماء القوم وسادتهم للدخول فى الإسلام . فهم الذين يمهدون الطريق لنشر الدعوة بين بقية الناس .

يقول الطبرى «فنزل بالمدينة على سعد بن زرارة فخرج به أسعد فجلس فى دار بنى ظفر فاجتمع عليها رجال ممن اسلم وسمع بن سعد بن معاذ واسيد بن حضير . وهما سيدا بنى عبد الاشهل وكلاهما مشرك .

فقال سعد لأسيد انطلق إلى هذين اللذين أتيا دارنا فأنهما فإنه لولا أسعد بن زرارة كفيتك ذلك فأخذ أسيد حربته ثم أقبل عليهما فقال ماجاء بكما تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلا عنا : فقال مصعب أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته . وإن كرهته كف عنك ماتكرهه . فقال أنصفت . ثم جلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام فقال ما أحسن هـذا وأجله ؟ كيف تصنعون إذا دخلتم فى هذا الدين ؟ قالا : تغتسل وتتطهر ثيابك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين ففعل ذلك واسلم.. ثم قال لهما أن ورائى رجلا أن تبعكما لم يتخلف عنكما أحد من قومه . وسأرسله إليكما . سعد ابن معاذ .

ثم تحدث سعد إلى مصعب وفعل مافعله أسيد . ثم قال سعد لقومه . يابنى عبد الأشهل كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا سيدنا وأفضلنا : قال فإن كلام رجالكم ونساءكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله . قال : فوالله ما أمسى فى دار عبـد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة »(١) .

ونلاحظ على هذا المنهج :

١ — شجاعة مصعب وقوة احتماله للشدائد وحكمته فى معالجة الأمور . فأسيد ابن حضير يحمل حربته ويتهدد مصعب وصحبه ويأمرهما باعتزال القوم . ومصعب يتقبل هذا بصبر وحكمه ويرد عليه « أو تجلس فتسمع .. إلخ . لقد امتص مصعب غضب أسيد وهكذا يكون الداعية إلى الله أمام خصوم الدعوة فقد يشرح الله صدورهم للإسلام .

٢ — القدرة على الإقناع وعرض الدعوة بأسلوب يأخذ بالباب

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبرى ج ٢ ص ٩٦ .

النفوس فلقد أسلم أسيد وكذلك أسعد عن طواعيه وإقتناع ولم يكن إسلمهما بتلك السرعة بالأمر السهل لولا ما وجداه من مصعب وأسلوبه فى الدعوة .

٣ - إن إقناع سادة القوم بالدعوة د يترتب عليه إقناع بقية القوم بها. عاد مصعب إلى مكة بعد أن أدى مهمته بنجاح فى المدينة ولاقت دعوته قبولا لدى أهلها . ومهدت بالتالى الطريق لهجرة الرسول ﷺ إليها بعدأن أسلم غالبية أهلها .

عاد مصعب لقاء الرسول ﷺ بمكة .ولنقف قليلا أمام عودة مصعب. فعند وصوله إلى مكة كان أول بيت طرقه هو بيت رسول الله ﷺ تاركا بيت أمه التى تاقت لرؤيته وتألمت لفراقه لقد أدرك مصعب أهمية لقاء الرسول ﷺ فبدأ به قبل لقاء أمه . وهذا يعطى الدعاء إلى الله درساً فى تقدير الأمور وإدراك المسئولية . فجل هم مصعب هو مقابلة رسول الله ﷺ ليخبره بما فعله فى المدينة . وقد نأى بنفسه عن شواغل الدنيا ..حتى وإن كانت رؤية أمه ، ولما بلغ أمه أن ولدها قد قدم إلى مكة أرسلت إليه من يبلغه على لسانها « يا عاق أتقدم بلداً أنا فيه ولا تبدأ بى فقال : ما كنت لأبدأ بأحد قبل رسول الله ﷺ (١) .

ثم أقام مصعب بمكة مع رسول الله ﷺ إلى أن هاجر ﷺ إلى المدينة فهاجر بعده بأثنتى عشرة ليلة »(٢) .

ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار فكان أبو أيوب الأنصارى أخا لمصعب بن عمير »(٣) .

---

(١) الطبقات الكبرى جـ ٣ ص ٨٤ (٢) المصدر السابق والصفحة
(٣) المصدر السابق ص ٨٥

جهاده فى سبيل الله :

ضرب مصعب بن عمـــير أروع الأمثلة فى الجهاد لنصرة دين الله والتمكين لدعوته . وقد جمع مصعب بين جهاد الكلمة وجهاد السيف فهو بالمدينة يجاهد بلسانه . أما جهاده بالسيف فقد تجلى فى غزوتى بدر ، وأحد . ففى بدر كان الرسول ﷺ قائد الجيش يستعرض المسلمين أمامه فيحدد لكل منهم موقعه فى الجهاد .. فهناك الجندى ورئيس الفرقة . وحامل لواء الرسول ﷺ . وهو أكبر لقب فى جيش المسلمين . وقد أنس الرسول ﷺ فى مصعب بن عمير الكفاءة لهذا المنصب فاعطاه لوائه يوم بدر ليكون على رأس المقاتلين من المهاجرين . وتلك مكرمة لمصعب تضاف إلى مكرمته السابقة وهى ثقه الرسول فيه وذلك بإرساله إلى المدينة لدعوة أهلها إلى الإسلام ، وقد أبلى المسلمون بلاء حسنا يوم بدر .

استشهاده يوم أحد :

وفى غزوة أحد تلك الغزوة التى حاولت قريش فيها أن تثأر لنفسها مما أصابها يوم بدر .أعطى الرسول لواء المهاجرين لمصعب بن عمير فحمله وأخذ يقاتل فى سبيل الله لا يبالى الموت . وكاد المسلمون أن ينتصروا فى أحد لولا مخالفة الرماة لرسول الله ﷺ وتركهم أماكنهم . الأمر الذى مكن لجيش المشركين أن يتغلغل داخل صفوف المسلمين فيفرقها .

ولم يكتف جيش المشركين بذلك بل أشاع أن محمد ﷺ قد قتل بعد أن أصيب ﷺ . وقد وقف مصعب إلى جانب رسول الله ﷺ يدفع عنه أذى المشركين ويفديه بنفسه وروحه . يقول الواقدى «حمل مصعب بن عمير اللواء يوم أحد فلما جال المسلمون ثبت به مصعب فأقبل ابن قميئه ـ وهو فارس فضرب يده اليمنى فقطعها ومصعب يقول ، وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية . . وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه فضرب

يده اليسرى فقطعها فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل» ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه واندق الرمح ووقع مصعب وسقط اللواء»(١) .

وهكذا سقط مصعب بن عميراً شهيداً .

«عن عبيد بن عمير قال : وقف رسول الله ﷺ على مصعب بن عمير وهو منجعف على وجهه يوم أحد شهيداً وكان صاحب لواء رسول الله ، وقال رسول الله ﷺ من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا»(٢) .

أن رسول الله يشهد عليكم أنكم شهداء عند الله يوم القيامة(٣) .

لقد فارق مصعب الحياة ولم يجد له أصحابه شيئاً يكفنونه به عن خباب من الأرث قال «هاجرنا مع رسول الله ﷺ في سبيل الله نبغي وجه الله فوجب أجرنا على الله فمنا من مضى ولم يأكل من أجره شيئاً ، منهم مصعب ابن عمير قتل يوم أحد فلم يوجد له شيء يكفن به إلا نمرة . قال: فكنا إذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه وإذا وضعناها على رجليه خرج رأسه فقال لنا رسول الله ﷺ أجعلوها مما يلي رأسه وأجعلوا على رجليه من الإذخر»(٤) .

---

(١) الطبقات الكبرى حـ ٢ ص ٨٤
(٢) الآية ٢٢ سورة الأحزاب .
(٣) أسد الغابة حـ ٥ ص ١٨٤
(٤) الطبقات الكبرى حـ ٣ ص ٨٢

صفاته الخلقية والخلقية :

كان مصعب بن عمير رحمه الله تعالى من أجمل فتيان مكة وأكثرهم شباباً وأحسنهم ملبساً وكان وسطا بين الطول والقصر .

أما عن أخلاقه فنذكر فيها شهادة رفيقه أبي عبد الله عامر بن ربيعة يقول عن مصعب « كان مصعب بن عمير لى خدنا وصاحب منذ يوم أسلم إلى أن قتل رحمه الله بأحد ، خرج معنا إلى الهجرتين جميعاً بأرض الحبشة وكان رفيق من بين القوم فلم أر رجلاً قط كان أحسن خلقـــاً ولا أقل خلافا منه »(١) .

ولا غرو . فقد كان لخلقه العظيم وسلوكه الطيب أثره فى جذب المدعوين إلى دعوته ، فالداعية إلى الله تعالى قدوة للمدعوين فى خلقه وسلوكه وسمته وهيبته ووقاره .

وكانت وفاة مصعب فى السنة الثالثة من الهجرة وهو ابن أربعين سنة أو يزيد قليلا ، وقد وقف الرسول عليه وهو فى بردة مقتول فقال : لقد رأيتك بمكة وما بها أحد أرق حلة ولا أحسن لمة منك ثم أنت شعث الرأس فى بردة ثم أمر به يقبر فنزل فى قبر أخوه أبو الروم بن عمير(٢) .

رحمه الله مصعب بن عمير وجزاه خيراً عما قدمه لدعوة الإسلام فلقد كان علماً من أعلام الدعوة إلى الله فى المدينة وفارساً من فرسان المسلمين يوم أحد رحمه الله ورضى عنه .

هـــذا وبالله التوفيق

---

(١) المصدر السابق ص ٨٣

(٢) المصدر السابق ص ١٨٠